

الأفعال الكلامية وقواها الإنجازية في "المقامة البغدادية"
لبديع الزمان الهمذاني (ت: 398هـ)

*Speech Acts and its Illocutionary forces in "Al-Maqama Al-Baghdadiyah" by
Badiuzzaman Al-Hamadhani (398 AH)*

طالبة الدكتوراه / فتيحة باخالد
الأستاذ الدكتور / محمد بن يحي

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الوادي (الجزائر)
مخبر الانتماء: مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي.
bakhaled-fatiha@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2023/10/01 تاريخ القبول: 2024/02/12 تاريخ النشر: 2024/03/15

ملخص:

كان لظهور نظرية الأفعال الكلامية في منتصف القرن الماضي مع "أوستين"، وتطويرها على يدي تلميذه "سيرل" أثر كبير في تحويل منهج الدراسات اللسانية عموماً، والدراسات النصية خصوصاً من النظر إلى اللغة بوصفها وسيلة للتواصل إلى الاهتمام بما يُنجزه مستعملو اللغة حين استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة؛ وبذلك أضحت البحوث في الأفعال الكلامية بحثاً في صميم التداولية.

وتأتي هذه الورقة البحثية؛ لتسلط الضوء على الأفعال الكلامية في نصّ أدبي تراثي متمثلاً في "المقامة البغدادية" لبديع الزمان الهمذاني (ت: 389 هـ)، في محاولة لتحديد الأفعال الكلامية، والوقوف على أغراضها وقواها الإنجازية في هذا النص. وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن سؤال أساس: ما الأفعال التي أنجزتها شخصيات المقامة البغدادية لما تكلمت وتجاوزت فيما بينها؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، سنوظف آليات المنهج التداولي، مع الاستعانة بالوصف والتحليل.

وقد توصلت الدراسة إلى حصر الأفعال الكلامية في المقامة البغدادية وتصنيفها، والوقوف على قواها الإنجازية؛ اعتماداً على الملفوظات وتفاعلها مع سياق التخاطب، وأوضاعه.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية؛ الغرض الإنجازي؛ القوة الإنجازية؛ المقامة

البغدادية، بديع الزمان الهمداني.

Abstract:

The emergence of Speech acts theory in the middle of the last century by "Austin" and its development by his student "Searle" had a significant impact on transforming the linguistic study methods in general, and textual studies in particular from viewing language as a means of communication to focusing on what language users accomplish when using it in different social situations. Thus, the study of speech acts is a deliberative one.

This research paper sheds the light on speech acts in the traditional Arabic literary text "Al-Maqama Al-Baghdadiyah" by Badiuzzaman Al-Hamadani (398 AH), in an attempt to identify and categorize speech acts, and their Illocutionary forces in this text.

The current study aims to answer the following problematic: What were the actions of "Al-Maqama Al-Baghdadiyah's personalities when they spoke and interacted?

To respond to this problem, the research employs the mechanisms of the deliberative approach with the use of description and analysis.

Finally, the study was able to identify and categorize speech acts and their Illocutionary forces in the text, depending on the utterances, and their interaction with the context of communication, and its conditions.

Keywords: Speech Acts; Illocutionary point; Illocutionary force; Al-Maqama Al-Baghdadiyah; Badiuzzaman Al-Hamadani.

تقديم: كان لظهور نظرية الأفعال الكلامية منتصف القرن الماضي مع الفيلسوف البريطاني "جون أوستين"، وتطويرها على يدي تلميذه الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" أثر كبير في تحويل منهج الدراسات اللسانية عموماً، والدراسات النصية خصوصاً من النظر إلى اللغة بوصفها وسيلة للتواصل إلى الاهتمام بما يُنجزه مستعملو اللغة حين استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة؛ وبذلك أضى البحث في الأفعال الكلامية بحثاً في صميم التداولية.

وتأتي هذه الورقة البحثية: لتسلط الضوء على الأفعال الكلامية في نص أدبي تراثي متمثل في "المقامة البغدادية" لبديع الزمان الهمداني (ت: 398 هـ)، في محاولة لتحديد الأفعال الكلامية وتصنيفها، والوقوف على أغراضها وقواها الإنجازية في هذا النص.

وتحاول هذه الدراسة للإجابة عن سؤال أساس: ما الأفعال التي أنجزتها شخصيات

المقامة البغدادية لما تكلمت وتجاوزت فيما بينها؟

وتتفرع من هذا السؤال مجموعة من الأسئلة: ما الأفعال الكلامية التي احتوتها المقامة البغدادية؟ وما أغراضها الإنجازية؟ وما القوى الإنجازية التي حققتها؟ وما الأفعال التأثيرية التي ترتبت عليها؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، سنوظف آليات المنهج التداولي، مع الاستعانة بالوصف والتحليل، وننتهج في إنجاز هذا البحث خطة تتكون من خمسة عناصر رئيسية: - نعرّف في العنصر الأول بنظرية الأفعال الكلامية، ومفهومي كلّ من الفعل الكلامي والفعل الإنجازي.

- ونتطرق في العنصر الثاني إلى ملامح نظرية الأفعال الكلامية في التراث اللغوي العربي. - أما ثالث العناصر، فنتطرق فيه إلى نظرية الأفعال الكلامية عند فلاسفة اللغة الغربيين (أوستين وسيرل).

- ونعرّف في العنصر الرابع بمدوّنة الدراسة "المقامة البغدادية"، وأطراف الحوار وأوضاعه.

- ونخصص العنصر الأخير لدراسة الأفعال الكلامية وقواها الإنجازية في المدوّنة، معتمدين تصنيف "سيرل".

ونختم الدراسة بخاتمة نضمّنها أهم نتائجها.

1- نظرية الأفعال الكلامية (Speech Acts Theory): تأسست هذه النظرية على

يد الفيلسوف الإنجليزي (ج. ل. أوستين John Langshaw Austin: 1911-1960) الذي اعتبر أنّ «إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل، وإنشاء لحدث»¹. ومعنى ذلك أن مستعمل اللغة لا ينتج كلمات دالة على معنى، وحسب، بل إنه في الوقت نفسه يقوم بفعل يُغيّر الواقع، ويمارس تأثيراً على المخاطب.

وقد تطورت هذه النظرية على يد تلميذه الفيلسوف الأمريكي (ج. ر. سيرل John Rogers Searle: 1932-...) الذي أعاد صياغة أسسها المنهجية، وتصنيف الأفعال الكلامية خمسة أصناف.

1-1- مفهوم الفعل الكلامي (Speech Act): إن الفعل الكلامي عند "أوستين"

و"سيرل" يعني: «التصرّف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسّساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثَمَّ فإنّ "الفعل الكلامي" يراد به «الإنجاز الذي يؤدّيه المتكلّم بمجرد تلفظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة ... فهذه كلها أفعال كلاميّة»²؛ فحينما يقول (أ) ل (ب): "بعثك الدار" مثلاً، فهو يُنجز فعلاً يُحدِثُ

تغيراً في الواقع؛ إذ تصبح الدار ملكاً لـ (ب) يحق له التصرف فيها كيف يشاء، بعد أن كانت ملكاً لـ (أ).

1-2- الفعل الكلامي الإنجازي (Illicitationart Act): أكد "سيرل" على أنّ الهدف

من دراسة أفعال الكلام هو الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول)³، أي: ما نقوم به من خلال كلامنا⁴، أو ما يؤديه الفعل القول (اللفظي) من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي⁵، ففي قول (أ) في المثال السابق: "بعثك الدار"، هو تصريح بتملك (ب) للدار؛ فبإمكانه أن يسكنها، أو يبيعها، أو يؤجرها...

وجدير بالتنبيه أن الفعل الكلامي هو «الحدث "Act" وليس الفعل "Verb" الذي يُعدّ مؤشراً، أو وسيلة لغوية لإنجاز الحدث، ومن هنا جاءت تسمية الفعل الكلامي بـ "Speech Act"»⁶.

وللأفعال الكلامية دورٌ أساس في تحقيق التفاعل الكلامي واستمراره؛ فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار أو إيصال المعلومات، وحسب، بل هي نشاط يتسبب في تحويل الأوضاع بجعل المخاطب يعترف بالنوايا التداولية للمتكلّم؛ وبذلك تقوم الأفعال الكلامية بدور مهم في توجيه معتقدات المتخاطبين من جهة، واستمرارية الخطاب بين أطرافه من جهة أخرى؛ فأقوال المتكلّم تنبني على أقوال المخاطب؛ فكلُّ قول يخضع لمضمون القول السابق، وللافتراضات والتأويلات التي يحتويها⁷.

وتُعدّ دراسة الأفعال الكلامية في تأويل الخطابات المختلفة في صميم الدراسة التداولية، بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية⁸. يقول نعمان بوقرة: «يُعدّ الفعل اللغوي محور اهتمام الدراسات اللسانية النصية؛ إذ يمثل التأكيد على أشياء، أو إعطاء أوامر، أو إثارة أسئلة، أو القيام بوعود، أو غير ذلك من الأفعال التداولية التي تركز على تأويل النصوص باعتبارها أفعالا للغة كالوعود، والتهديدات، والاستفهامات، والطلبات، والأوامر»⁹.

2- ملامح نظرية الأفعال الكلامية في التراث اللغوي العربي: لما كان موضوع هذه

الدراسة هو مقارنة نصّ تراثي عربي "المقامة البغدادية" مقارنة تداولية (في مستوى أفعال الكلام)، ارتأينا أن نشير إشارة مقتضبة إلى بعض الملامح التي تتجلى فيها "نظرية الأفعال الكلامية" عند العلماء العرب القدماء الذين كانوا سباقين إلى التطرق إلى العديد من القضايا اللغوية التي تبحثها اللسانيات المعاصرة، ومن بينها "أفعال الكلام".

تتجلى نظرية "أفعال الكلام" في الدرس اللغوي العربي التراثي في مباحث علم المعاني، وهما: الأسلوب الخبري، والأسلوب الإنشائي، يقول مسعود صحرأوي: «تندرج

"ظاهرة الأفعال الكلامية" تحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـ "الخبر والإنشاء" وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات؛ ولذلك تعتبر "نظرية الخبر والإنشاء" عند العرب - من الجانب المعرفي العام- مكافئة لـ مفهوم "الأفعال الكلامية" عند المعاصرين¹⁰؛ فاهتمام البلاغيين العرب قديما بالمقام، وبالغرض الدلالي يُعدُّ من صميم الدرس التداولي. وتبرز ملامح نظرية "الأفعال الكلامية" عندهم في تحليلهم الأساليب الإنشائية من حيث البنية، والدلالة، والغرض (القصد)¹¹.

ويذهب الباحث محمد مَدَّور إلى أن نظرية أفعال الكلام «امتدادٌ لنظرية الخبر والإنشاء في التراث العربي، ويمكن القول أيضا: إنها مبحث يتناول فرعاً من فروع الخبر والإنشاء، وهو الصنف الذي لا هو خبر، ولا إنشاء، أو ما كان ظاهره خبراً ومضمونه إنشاء، وما كان بينهما من مجالات متداخلة»¹².

ويؤكد كثيرٌ من الباحثين على أن ملامح نظرية الأفعال الكلامية تجسدت خصوصاً لدى علماء الأصول الذين اعتمدوا في تأويلهم النصوص الشرعية، واستنباط الأحكام والدلالات على مراعاة قصد المتكلم وأغراضه، ومراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي (الحكم الشرعي، العرف الاجتماعي...) ¹³.

3- نظرية الأفعال الكلامية عند فلاسفة اللغة الغربيين: ظهرت نظرية "أفعال الكلام" في الفكر اللساني الغربي في بادئ الأمر مع فلاسفة أكسفورد، وتحديدا مع الفيلسوف (ج. ل. أوستين John Langshaw Austin: 1911-1960)، ثم جاء بعده تلميذه (ج. ر. سيرل John Rogers Searle: 1932-...) الذي طورها وضبط أسسها المنهجية، والإجرائية.

3-1- الأفعال الكلامية عند "أوستين": توصل "أوستين" في آخر مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال، هي: فعل القول، والفعل الإنجازي (الفعل المتضمن)، والفعل التأثري (الفعل الناتج عن القول)¹⁴.

3-1-1- الفعل القولي (الفعل اللغوي Locutionary Act): ويراد به النشاط اللغوي الصّرف الذي يتحقق ما إن يتلفظ به المتكلم، أي: الكلام السليم نحوياً، المفيد دلالياً الذي يتلفظ به المتكلم. ويشتمل "فعل القول" على المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي.

3-1-2- الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول Illocutionary Act): يعدّ مفهوم "الفعل الإنجازي" محور هذه النظرية. وهو الفعل المتضمن في القول الذي يتحقق

بقولنا شيئاً ما؛ أي ما يؤديه الفعل القولي من وظيفة في الاستعمال، كالوعد، والتحذير، والأمر، والنصح...

ويتميز الفعل المتضمن في القول بكونه ذا قوة إنجازية تتمثل في قصد، أو هدف المخاطب من الكلام الذي أصدره. وهو ما يعرف بـ "القوة اللاتعبيرية"، أي محاولة المخاطب إنجاز غرض تواصلية معين¹⁵.

3- 1- 3- الفعل التأثري (الفعل الناتج عن القول/الزم فعل الكلام (Perlocutionary Act): وهو الأثر الذي يحدثه الكلام (الفعل الإنجازي) في المتلقي. ويختلف نوع هذا الأثر حسب سياق الكلام¹⁶.

وقد صنف "أوستين" أفعال الكلام بالنظر إلى قواها الإنجازية خمسة أصناف، هي¹⁷:

3- 2- 1- أفعال الأحكام: وهي الأفعال المعبرة عن حكم يصدره مُحَكِّم أو حَكَمٌ، وليس من الضروري أن تكون الأحكام نهائية أو نافذة، فقد تكون تقديرية، أو ظنية مثل: يُرَى، ويُقدَّر، ويحلل، ويقوم... أي إنّ جوهر هذا النوع من الأفعال إنما هو إصدار الأحكام، لكن لا يشترط في تلك الأحكام أن تكون نافذة.

3- 2- 2- أفعال القرارات: وهي الأفعال التي تعبر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص، أو ضده، مثل: يأذن، ويحرم، ويحذر، ويوصي، ويطرد... ويتعلق هذا النوع من الأفعال بممارسة وتنفيذ القرارات، وتقديم التوجيهات لصالح شخص أو ضده.

3- 2- 3- أفعال التعهد: وهي الأفعال التي تعبر عن تعهد المتكلم بفعل شيء، أو إلزام نفسه به، مثل: أعد، وأتعهد، وأضمن، وأقسم على... أي إنّ المتكلم يقدم من خلال هذا النوع من الأفعال للمتلقي وعداً بإنجاز أفعال معينة.

3- 2- 4- أفعال السلوك: وهي الأفعال التي تعبر عن رد فعل لسلوك الآخرين، ومواقفهم، كالاعتذار، والشكر، والرجاء، والتحية... ويهدف هذا النوع من الأفعال إلى القيام بسلوكات معينة وإبدائها، ويكون بمثابة رد فعل اتجاه سلوكات أخرى.

3- 2- 5- أفعال الإيضاح: تلك الأفعال التي يستخدمها المتكلم؛ ليوضح موقفه، أو وجهة نظره إزاء مواقف معينة، مثل: الإثبات، والإنكار، والاستفهام، والتصويب...

وعلى الرغم من أن "أوستين" قد وضع الحجر الأساس لنظرية "الأفعال الكلامية" إلا أنه لم يُوفّق في بناء نظرية متكاملة؛ إذ اعترى تقسيمه الأفعال خلط منهجي جعل بعضها يتداخل مع بعضها الآخر، بيد أن تلميذه "سيرل" استطاع تطوير هذه النظرية على أسس منهجية واضحة¹⁸.

3-3- نظرية الأفعال الكلامية عند "سيرل": حاول "جون سيرل" سدّ ثغرات "نظرية الأفعال الكلامية"، وإصلاح اختلالاتها، وضبطها منهجياً، ثم صوغها في نظرية محكمة¹⁹؛ فتبنى مقترح أستاذه "أوستين" مشدداً على أن فعل القول لا يمكن تحقيقه دون قوّة إنجازية، كما أجرى تعديلات على تصنيف "أوستين" للأفعال الكلامية، فضلاً عن الاهتمام الخاص الذي أولاه للمعنى والمحتوى اللغوي.

ويمكن إيجاز القول في أهم ما قدّمه "سيرل" في مجال "أفعال الكلام" في الآتي:

3-3-1- الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على قصد المتكلم، بل هو مرتبط أيضاً بالعرف اللغوي والاجتماعي، ويلخص "سيرل" ذلك في عبارة مأثورة هي:

"Meaning is more than a matter of intention, it is also a matter of convention"²⁰.

3-3-2- الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي البشري²¹، ويتمثل فيما يؤديه الفعل القولي (اللفظي) من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي²².

3-3-3- التمييز بين الفعل الإنجازي، والتأثيرات التي يتركها الفعل الإنجازي على المستمع²³.

3-3-4- التمييز بين نوعين من الأفعال الإنجازية: الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة²⁴.

- الأفعال الإنجازية المباشرة: هي الأفعال التي تُطابق قوّتها الإنجازية قصد المتكلم، أي: يكون فيها ما يقوله المتكلم مطابقاً لما يعنيه، وما يفهمه المخاطب.

- الأفعال الإنجازية غير المباشرة: هي تلك الأفعال التي تُخالف قوّتها الإنجازية قصد المتكلم، أي: لا يكون فيها ما يقوله المتكلم مطابقاً لما يعنيه، حيث يؤدي الفعل الإنجازي من خلال فعل آخر، كما في المثال المشهور: "هل تناولني الملح؟"، فالمتكلم لا يسأل المخاطب، وإنما هو طلب مُهذّب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر: "ناولني الملح".

وفي الأفعال الكلامية غير المباشرة يتم الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، ولا يمكن للمخاطب أن يفهم معنى الملفوظ إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية قد تطول، وقد تقصر، وقد تكون بسيطة أو معقدة²⁵.

3-3-5- التمييز بين محتوى الفعل المتضمن في القول، والقوّة المتضمنة في القول التي يمتلكها الفعل الكلامي، أي: التمييز بين المحتوى القضوي، والقوّة الإنجازية للفعل الكلامي²⁶.

3-3-6- أكد على أن للقوّة الإنجازية دليلاً يبيّن نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتكون هذا الدليل أو المؤشر من خصائص نحوية في نظام الجملة: خبرية أو إنشائية، والنبر والتنغيم...²⁷.

3-3-7- حدّد مفهوم القوة الإنجازية؛ إذ تُعدّ قوّة الملفوظ الإنجازية جزءاً من بنيته الدلالية، وتتمثل في الشدة أو الضعف اللذين يُعبّر بهما عن الغرض الإنجازي في موقف اجتماعي معين، أيّاً كان هذا المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة.²⁸

3-3-8- يحدّد سيرل الغرض الإنجازي مكوّنات القوة الإنجازية²⁹، فالغرض الإنجازي للالتماس هو ذاته الغرض الإنجازي للتوسل؛ لأن كلا منهما محاولة لجعل المتلقين يفعلون أشياء محدّدة، ولكن القوة الإنجازية بينهما مختلفة اختلافاً بيناً.³⁰

ويمكن التمييز بين الغرض الإنجازي والقوة الإنجازية بكون الغرض وظيفة، أما القوة، فهي درجة. والقوة الإنجازية جزء من المعنى، والمعنى هو الذي يعيّن قوة إنجازية بعينها بمساعدة عناصر السياق.³¹

3-3-9- قدّم تصنيفاً بديلاً للأفعال الكلامية عند "أوستين" يقوم على ثلاثة أسس منهجية، هي: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص.³²

3-3-10- قسم الأفعال الكلامية بالنظر إلى قوّتها الإنجازية خمسة أصناف، هي:³³ الإخباريات (التقريرات)، والتوجيهيات، والإلتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات (التصريحيات).

وهذا التقسيم الخماسي الذي قدّمه "سيرل" هو الذي سنتبناه في دراسة الأفعال الكلامية وقواها الإنجازية في المقامة البغدادية؛ باعتباره النموذج الأنسج لهذه النظرية.

4- المقامة البغدادية وأطراف الحوار وأوضاعه: من الضروري - قبل دراسة الأفعال الكلامية وقواها الإنجازية في المقامة البغدادية - أن نلقي نظرة على نصّ المقامة؛ وذلك لتحديد موضوع الخطاب، وأطراف الحوار، وأوضاعه؛ لأن تصنيف أيّ فعل كلامي، وفهم غرضه الإنجازي، وكذا تحديد قوته الإنجازية، والفعل التأثيري الناتج عنه لا ينفكّ عن علاقات المتحاورين بعضهم ببعض، والسياق التواصلية الذي جرت فيه أحداث القصة.

4-1- المقامة البغدادية هي إحدى أشهر مقامات بديع الزمان الهمداني³⁴، وسمّيت كذلك لأن أحداثها تجري في بغداد، وقد عرّف يوسف نور عوض المقامة بأنها: «قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني مُكدّ ومتسوّل، لها راوٍ وبطلٌ، وتقوم على حدث طريف مغزاه مفارقة أدبية، أو مسألة دينية، أو مغامرة مضحكة تحمل داخلها لونا من ألوان التّقد والثورة، أو السخرية، وُضعت في إطار من الصّنع اللغوية والبلاغة».³⁵

وتُعدّ "المقامة البغدادية" مرآة تعكس الأوضاع الاجتماعية في العصر العباسي الثاني التي اضطرت كثيراً من الناس إلى التسوّل، والتفنّن في أساليب الاحتيال؛ لكسب لقمة العيش.³⁶

وتتلخص أحداثها في: احتيال الراوي "عيسى بن هشام" على "سَوَادِي" ساذج، بادّعائه معرفته ومعرفة أبيه، ثم دعوته إلى تناول الطعام لدى شَوَاء في السوق. ولما قضى مأربه، وملاً بطنه بما لذّ وطاب من شواء، وأصناف الحلوى، استأذن السَوَادِي الساذج في أن يأتيه بسقّاء؛ ليسقيه ماءً بارداً، ولكنه اختفى في مكان يرى فيه السَوَادِي، وهو لا يراه، فلما أبطأ عليه أراد السَوَادِي الانصراف، لكن الشواء أمسك به وطالبه بثمن الأكل، فأجابه السَوَادِي بأنه أكله ضيفاً، غير أن الشواء بادره بلكمة، وثبّت عليه بلطمة، مطالباً إياه بتسديد ثمن الأكل، فدفعه باكياً متحسّراً.

2-4- الشخصيات:

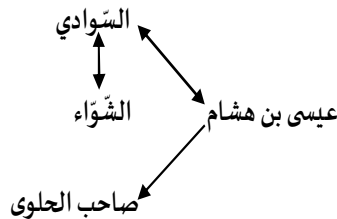
- عيسى بن هشام بطل القصة: رجل من سكان بغداد في القرن الرابع الهجري، اضطرته الظروف الاجتماعية القاسية للاحتيال: لكسب لقمة العيش.
- السَوَادِي: رجل قرويّ ساذج، وقع فريسة سهلة لعيسى بن هشام.
- الشَوَاء: شخصية ثانوية، أسهمت في دفع أحداث القصة إلى نهايتها، وهي شخصية تتميز بالقسوة.

- صاحب الحلوى: شخصية ثانوية، لا تُشارك في الحوار، ولا يكاد يظهر لها دور سوى تقديم الحلوى التي طلبها عيسى بن هشام.

3-4- مكان أحداث القصة وزمانها: تجري أحداث القصة في سوق الكرخ ببغداد في

القرن الرابع الهجري.

4-4- سيرورة الحوار: نلخصها في الشكل الآتي:



5- الأفعال الكلامية وقواها الإنجازية في المقامة البغدادية: سنحاول في هذه المرحلة

من الدراسة الوقوف على "الأفعال الكلامية" في المقامة البغدادية، ودراسة أغراضها وقواها الإنجازية، والكشف عن الآثار المترتبة عليها، معتمدين في ذلك تصنيف "سيرل".

5-1- الإخباريات (التقريريات Assertives): هي ملفوظات تحتل الصدق والكذب،

وغرضها الإنجازي وصف، أو نقل واقعة معيّنة من خلال قضية ما نقلاً أميناً، فإذا تحققت الأمانة في النقل، تحقق شرط الإخلاص الذي ينجم عنه إنجاز الفعل إنجازاً ناجحاً³⁷.

وتتمثل غاية الإخباريات في التعهد للمستمع بصدق القضية ومطابقتها للواقع، وشرط الإخلاص فيها هو الاعتقاد بصدقها، ويكون اتجاه المطابقة من الكلمة إلى العالم³⁸، أي: إن المتكلم يحرص على جعل قوله مطابقا للواقع الذي يخبر عنه أو يصفه³⁹.

وقد وقفنا في المقامة البغدادية على ثمانية وعشرين (28) فعلا إخباريا، وردت بطريقتين: مباشرة، وغير مباشرة؛ لأداء أغراض إنجازية مختلفة. وعلى الرغم من أن الغرض الإنجازي للإخباريات -عموما- هو الإخبار والوصف ... إلا كثيرا منها حقق قوى إنجازية في هذه المقامة، ومنها ما ترتب عليه أفعال تأثيرية:

5- 1- 1- الأفعال الإخبارية المباشرة: أحصينا في نص المقامة ستة عشر (16) فعلا إخباريا مباشرا، وتنوعت قواها الإنجازية بين: الإخبار، والوصف، والتأكيد، والتقرير، والاعتقاد. وقد توفر فيها شرط الإخلاص إلا في فعل إخباري واحد؛ لأن الراوي "عيسى بن هشام" كان ينقل الوقائع نقلا أميناً.

أ/ الإخبار: ومنه قول الراوي "عيسى بن هشام": "... خَرَجْتُ أَتَنَهَزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحْلَنِي الكَرْخَ"، فالراوي في هذا القول يُخبر عن خروجه بحثا عن الطعام الذي اشتهاه، وهو بذلك يُنجز فعلين: "الخروج من البيت والبحث عن الطعام". وقد توفّر في هذا الفعل شرط الإخلاص؛ لأن المتكلم ينقل الواقع نقلاً أميناً.

ومنه أيضا قوله: "خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي، أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ". وفي هذا الملفوظ يكون المتكلم قد أنجز ثلاثة أفعال: "الخروج من دكان الشّواء، والجلوس في مكان لا يراه فيه السّوّادي، ومراقبة السّوّادي". وقد توفّر في هذا الفعل شرط الإخلاص؛ فالراوي ينقل الواقعة كما حدثت.

ب/ الوصف: ومنه قوله: "فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِي يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمَارَهُ". وفي هذا القول وصف للسّوّادي، وهو يسوق حماره، وقد تحققت في هذا القول قوة إنجازية تتمثل في وصف شدة إرهاق السّوّادي، وشرط الإخلاص متوفّر في هذا الفعل؛ فالراوي يصف الحادثة كما وقعت.

ومن الوصف أيضا قوله: "فَجَعَلَ السّوّادِي يَبْكِي وَيَحُلُّ عَقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ". ويتضمّن الملفوظ فعل وصف السّوّادي، وهو يحلّ عقد النقود ليدفع ثمن الطعام باكيا، بعد أن تلقى لكمة، ولطمة، ويمكننا أن نلمس القوة الإنجازية في هذا الفعل متمثلة شدة حزن السّوّادي وتحسّره على المقلب الذي وقع فيه، والإخلاص متوفّر في هذا الفعل؛ إذ وُصفت الحادثة كما وقعت.

ج/ التأكيد: ومنه ما ورد في قول السوادي: "لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ"، مصححا الكنية التي دعاه بها عيسى بن هشام، وهو بذلك يقرّر حقيقة تتضمن قوة إنجازية هي: "التأكيد"، موظفا ثلاثة مؤشرات للتأكيد: النفي بـ "ليس" والباء، والاستدراك بـ "لكن". وشرط الإخلاص متوفر في هذا الفعل؛ لأن السوادي صادق في تصحيح كنيته. ومنه أيضا إنشاد الراوي في آخر المقامة: "... فَأَمْرٌ يَعْجُزُ لَا مَحَالَةَ"، فزيادة على تقرير حقيقة عجز المرء في هذا القول، فإن الفعل الإخباري حقق قوة إنجازية تتمثل في "التأكيد" على عجز المرء "لا مَحَالَةَ".

د/ التقرير: ورد في قول عيسى بن هشام: "وَطَمَعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ". وهذا الإخبار يقرر حقيقة وقوع السوادي في شرك عيسى بن هشام، وانطلاء الحيلة عليه. ه/ الاعتقاد: يتجلى في ردّ السوادي على الشوّاء لما طالبه بثمان الشوّاء: "أَكَلْتُهُ ضَيْفًا". وقد حقق هذا الفعل قوة إنجازية تتمثل في "الاعتقاد"؛ فالسوادي كان يعتقد أن عيسى بن هشام يعرفه ويعرف أباه، وأنه استضافه، وهو صادق في ذلك الاعتقاد.

5- 1- 2- الأفعال الإخبارية غير المباشرة: أحصينا في هذه المقامة اثني عشر (12) فعلا إخباريا غير مباشر، وتنوعت قواها الإنجازية بين: التأكيد، والوصف، والتظاهر، والتثمين:

أ/ التأكيد: ومنه قول عيسى بن هشام: "ظَفَرْنَا وَاللّٰهُ بِصَيْدٍ"، تضمن هذا الفعل الإخباري قوة إنجازية هي: "التأكيد"؛ فعيسى بن هشام يؤكّد على أنّ السوادي سيكون فريسة يسهل الإيقاع بها، ومؤشر التأكيد في هذا القول هو القسم: "والله". ونلاحظ توفر شرط الإخلاص في هذا القول؛ فعيسى بن هشام مقتنع بانطلاء حيلته على السوادي. ومنه أيضا قول السوادي: "قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ"، فهو يُخبر عيسى بن هشام إخبارا غير مباشر بأن أباه قد توفي منذ زمن بعيد، وقد تحققت في هذا الإخبار قوة إنجازية هي: "التأكيد"، ومؤشرها أداة التحقيق "قد". وشرط الإخلاص متوفر في القول؛ لأن السوادي صادق فيه.

ومن التأكيد أيضا قول عيسى بن هشام مخاطبا السوادي: "ما أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشْعِشَعُ بِالتَّلَجِّ...!"، فالمتكلم ههنا، وإن كان يقرر حقيقة إلا أننا نلمس في هذا التقرير قوة إنجازية تتمثل في "التأكيد" على حاجتهما إلى ماء بارد، لإطفاء حرارة الأكل، موظفا صيغة التعجب القياسية "ما أفعله" للتأكيد.

ب/ الوصف: ومنه ما ورد في وصف عيسى بن هشام السوادي بقوله: "... يُطَرِّفُ بِالْعَقْدِ إِزَارَهُ". وقد تحققت بهذا الفعل الإخباري قوة إنجازية تتمثل في اتّصاف السوادي

بالسذاجة، حيث جعل نقوده بادية للعيان بربطها عقدا في ثوبه، وشرط الإخلاص متوقّر في هذا الفعل؛ إذ يصف الراوي السوادي كما رآه في الواقع.

ج/ التظاهر: ورد في قول عيسى بن هشام: "وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ إِلَى الصِّدَارِ، أُريدُ تَمْزِيْقَهُ". وتتمثل القوة الإنجازية لهذا الإخبار في: "التظاهر" بشدة الحزن على موت أبي السوادي، ولم يتوقّر شرط الصدق في هذا الفعل؛ لأن عيسى بن هشام قام به إيهاما للسوادي بأنه يعرف أباه، وأنه شديد الحزن على موته.

د/ التثمين: ومن ذلك قول الراوي يصف الشّواء: "أَتَيْنَا شَوَاءً يَنْقَاطِرُ شَوَاؤُهُ عَرَقًا..."، وفي قوله هذا وصفٌ للشّواء، وقد حقق قوة إنجازية هي: "التثمين"، أي: جودة الشواء، وشرط الإخلاص متوفر في هذا القول؛ لأن الراوي نقل الواقع نقلا أميناً.

ومنه كذلك وصفه حلوى اللوزينج بقوله: "وَلْيَكُنْ لَيْلِي الْعُمْرُ، يَوْمِي النَّشْرُ، رَقِيقَ الْقَشْرِ، كَثِيفَ الْحَشْوِ، لَوْلُؤِي الدُّهْنِ، كَوَكْيِي اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ الْمَضْغِ". تضمّن هذا القول وصفا للوزينج، محققا قوة إنجازية تتمثل في "التثمين"، أي: جودة حلوى اللوزينج، وقد توفّر شرط الإخلاص في القول؛ فاللوزينج حقيقة لا يكون جيّدا إلا إذا كان كما وصف.

5-2- التوجيهيات: (Derectives): وهي محاولة حمل المستمع على التصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى القضوي للتوجيه، فكل توجيه هو تعبير عن رغبة أن يقوم المستمع بالفعل الموجه له، وتتجسد التوجيهيات في الأوامر، والنواهي، والالتماسات، والنصح...⁴⁰، أي إن الأفعال التوجيهية (الأمرية) يشترط فيها أن يكون الأمر ذا سلطة على المأمور تُلزمه بالقيام بالفعل، وأن يكون المتلقي قادراً على القيام بالفعل الموجه له، ولا يوصف هذا النوع من الأفعال بالصدق أو بالكذب، وإنما يمكن أن تكون مُطاعة أو معصية، أو مرفوضة...⁴¹.

وقد وقفنا في المقامة البغدادية على مجموعة من الأفعال التوجيهية، متمثلة في: الأمر، والاستفهام، والنداء، والنهي، وهيمنت عليها الأفعال غير المباشرة التي وُظِّفت لأداء أغراض إنجازية مختلفة، وتحقيق قوى إنجازية متنوعة، نجمت عنها أفعال تأثيرية متباينة حسب السياق الذي وردت فيه.

أ/ الأمر: يُعرّف الأمر بأنه «طلبُ الفعل من الأعلى إلى الأدنى، حقيقةً أو ادّعاءً، أي: سواء أكان الطالب أعلى في واقع الأمر، أم مدّعيًا لذلك»⁴²، فإن لم يكن الأمر على سبيل الاستعلاء، خرج للدلالة على أغراض بلاغية كثيرة يُحددها المقام، كالتضرّع، والدعاء، والتلطّف، والالتماس، والنصح والإرشاد، والتهديد، والتعجيز، والتعجب وغيرها.⁴³

وقد ورد الأمر في هذه المقامة باعتباره فعلا توجيهيا إحدى عشرة (11) مرة. وجاء هذا الفعل التوجيهي (الأمر) مباشرة مرة واحدة في قول الشّوّاء: "زُنْ يا أبا القَحّةِ عِشرين؛ وغرضه الإنجازي: الأمر، أما قوته الإنجازية، فتتمثل في الإلزام (إلزام السّوّادي بدفع ثمن الطعام)، ومؤشرها: فعل الأمر "زُنْ" إضافة إلى السياق (السّوّادي في موقف ضعف، والشّوّاء في موقف قوّة). أما الأثر المترتب على هذا الفعل التوجيهي، فهو "تنفيذ السّوّادي أمر الشّوّاء" بدفع ثمن الطعام، مرغما تحت تأثير اللّكم واللّطم.

وقد ورد الأمر غير مباشر في عشرة (10) مواضع، وحقّق قوى إنجازية مختلفة، وترتّبت عليه أفعال تأثيرية متباينة:

- الطلب: ومنه قول عيسى بن هشام مخاطبا الشّوّاء: "افِرْزْ لَأَيِّ زُنْدٍ مِنْ هَذَا الشّوّاء". والقوة الإنجازية لهذا الفعل هي الطلب؛ لأن الأمر والمأمور متساويان في المرتبة، وقد ترتب عليه: تنفيذ الشّوّاء طلب عيسى بن هشام.

- التّقرّيع: في خطاب الشّوّاء السّوّادي بقوله: "هاكّ، ومتى دعوناك؟"، فقد استعمل الشّوّاء اسم فعل الأمر "هاكّ" متبوعا بفعل فيزيائي (اللّطم واللّكم)؛ أما القوّة الإنجازية المتضمّنة في الفعل فهي "التّقرّيع"، فالشّوّاء يُعَنّف السّوّادي بسبب ادّعائه أكل الطّعام ضيفا. وقد ترتّب عليه شعور السّوّادي بالذلّ والمهانة.

- النصّح: ومنه قول عيسى بن هشام للسّوّادي: "اجْلِسْ يَا أبا زُنْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسَقَاءٍ...". والقوة الإنجازية في هذا الفعل تتمثل في "النّصح"؛ فهو ينصح السّوّادي بالمكوث؛ ليأتيه بسقاء يسقيه ماءً باردا. وقد ترتب على هذا الفعل التوجيهي استجابة السّوّادي له، بمكوته منتظرا مضيفه، مُشْتَهِيَا شربة ماء باردة.

ب/ الاستفهام: هو طلب معرفة شيء مجهول بوساطة أداة⁴⁴. وكثيرا ما يخرج الاستفهام للدلالة على أغراض بلاغية تُفهم من المقام، وقد يُحدّد التركيبُ غرض الاستفهام⁴⁵.

ورد الاستفهام في هذا النص بوصفه فعلا توجيهيا أربع (4) مرات، وجاء غير مباشر؛ لتحقيق قوى إنجازية، تتمثل في:

- الإيهام: ويتجلى في خطاب عيسى بن هشام السّوّادي أول ما لقيه: "مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتُ؟..."، وتتمثل القوة الإنجازية للاستفهام في "الإيهام"؛ فقد أمطره بسلسلة من الأسئلة دون انتظار إجابتها؛ ليوهمه بأنه يعرفه، ويعرف أباه. وقد ترتب على هذه السلسلة من الأسئلة اعتقاد السّوّادي بأن عيسى بن هشام يعرفه، ويعرف أباه.

- الإلزام: ويتجسد في خطاب الشواء السوادي: "أَيْنَ تَمَنُّ ما أَكَلْتَ؟"، وقوة الاستفهام الإنجازية هنا هي "الإلزام"؛ فالشواء لا يسأله عن ثمن الطعام، وإنما يلزمه بدفع الثمن. وقد ترتب على هذا الفعل التوجيهي ارتباك السوادي، حيث أجاب متلعثما: "أَكَلْتُه ضَيْفًا".

- التوبيخ: ويجلى في قول الشواء: "وَمَتَّى دَعَوْنَاكَ؟"، والقوة الإنجازية لهذا الفعل التوجيهي هي "التوبيخ" الذي نتج عنه فعل تأثيري يتمثل في شعور السوادي بالإهانة.

ج/ النداء: يُعرّف النداء بأنه: طلبُ إقبالِ المدعوِّ على الداعي بحرفٍ مخصوص، وكثيرا ما يصحب النداء الأمر والنهي، وتأتي معه الجُمْلُ الاستفهامية والخبرية⁴⁶.

وقد ورد النداء في هذه المقامة بوصفه فعلا توجيهيا غير مباشر ثلاث (3) مرات، محققا قوى إنجازية مختلفة:

- الاستمالة: في ترحيب عيسى بن هشام بالسوادي حينما ناداه بكنية اخترعها: "حَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ". والقوة الإنجازية للنداء هنا هي "الاستمالة". وترتب على هذا النداء ارتياح السوادي لعيسى بن هشام، ظانا أنه يعرفه حقا.

- التقرع: في خطاب الشَّوَاء السَّوَادِي بقوله: "زَنْ يَا أَخَا الْقِحَّةِ عِشْرِينَ"، وتتمثل القوة الإنجازية لهذا النداء في "التقرع"؛ فهو يعنفه لفظا، وفعلا (لَكُما وَلَطُما). وقد ترتب على هذا الفعل شعور السوادي بالإهانة.

د/ النهي: «هو طلبُ الكفِّ على وجه الاستعلاء»⁴⁷. وله حرفٌ واحدٌ هو "لا" الناهية. وهو «محدِّدٌ به حدو الأمر في أَنْ أَصْلُ استعمالٍ "لا تفعل" أن يكونَ على سبيل الاستعلاء»⁴⁸. ولنهي كما للأمر أغراضٌ بلاغيةٌ تُفهم من المقام⁴⁹. وقد وظف النهي في هذه المقامة بوصفه فعلا توجيهيا غير مباشر مرتين، وحقق قوتين إنجازيتين مختلفتين:

- الرجاء: يظهر في قول السَّوَادِي لعيسى بن هشام لما تظاهر بتمزيق قميصه، حزنا على أبيه الهالك: "نَشَدْتُكَ اللهُ لا مَرْقَتَهُ". وقد ترتب على هذا الفعل التوجيهي اطمئنان عيسى بن هشام لنجاح خطته في الإيقاع بالسوادي.

- النصيح والتوجيه: ومنه قول الراوي: "لا تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالَةٍ". وتتمثل القوة الإنجازية لهذا الفعل التوجيهي في "النصح والتوجيه" إلى اتِّخَاذِ أيِّ وسيلة لكسب الرزق، ولو بالاحتيال على الفقراء السَدَج. وقد أكَّد الفعل بنون التوكيد الثقيلة، وفي ذلك حثٌّ على الاجتهاد في الاحتيال لكسب الرزق.

5-3- الالتزاميات/ الوعديات (Commissives): يعرفها "سيرل" بأنها: «كلُّ التزام من جانب المتكلِّم بأن يتعهد بسلوك الفعل المتمثل في المضمون القضوي، وأمثلة الأفعال الإلزامية هي الوعود، والندور، والتعهدات، والتعاقدات...»⁵⁰. والغرض الإنجازي في هذا الصنف من

الأفعال الكلامية هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل⁵¹، فالتكلم يأخذ على عاتقه جعل العالم ملائماً للكلمات، والمحتوى القضوي فيها دائماً فعل المتكلم شيئاً في المستقبل⁵²؛ وبذلك يكون اتجاه المطابقة في الالتزاميات دائماً من العالم إلى الكلمة، وشرط الإخلاص المعبر عنه هو دائماً القصد. وبما أن الالتزاميات هي تعبير عن قصد فعل شيء ما، فإنه لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، ولكن يمكن أن تكون منقّدة وموفى بها، أو منكوث بها⁵³.

وردت الالتزاميات في هذه المقامة بشكّين تعبيريين: الأمر بصيغة اسم فعل الأمر، وبصيغة الإخبار، وكلّهما صادرة عن بطل المقامة. وتمثلت قوتها الإنجازية في "الوعد".

- الوعد: ورد الفعل الإنجازي الالتزامي مرتين بصيغة اسم فعل الأمر "هَلُمَّ" في دعوة عيسى بن هشام السوادي إلى البيت، تلك الدّعوة التي لم يكن صادقاً فيها: "هَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ"، ثم دعوته إلى السوق لشراء الشواء: "هَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُصَبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً". وتتمثل القوة الإنجازية لهذا الفعل في "الوعد بالضيافة". وقد ترتب على هذا الفعل طمع السوادي في الضيافة، واشتهأوه الشّواء: "فَاسْتَفَرَّتُهُ حُمَةُ الْقَرَمِ، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ...".

وورد الفعل الإنجازي الالتزامي مرّة واحدة بصيغة الإخبار في قول عيسى بن هشام للسوادي: "اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسَقَاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرِبَةِ مَاءٍ". وهو فعل إنجازي مباشر وظف فيه الفعل المضارع الدال على المستقبل، وتتمثل قوته الإنجازية في "الوعد بالماء البارد". وقد ترتّب عليه إثارة رغبة السوادي في شرب الماء البارد.

ولا نغادر هذا المقام قبل الإشارة إلى أن بعض الدارسين قد فرق بين الالتزاميات والتوجيهيات بكون المتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، أما في التوجيهيات، فهو يحاول التأثير فيه⁵⁴، بيد أن هذا الحكم ليس مسلماً به؛ فمن خلال دراستنا للالتزاميات في "المقامة البغدادية" نلاحظ أن الراوي "عيسى بن هشام" كان يُقدّم للسوادي وعوداً كاذبة (استضافته / وعده بالماء البارد)؛ لغرض التأثير فيه، وذلك لكسب ثقته، وطمأنته بأنه يعرفه ويعرف أباه الهالك؛ لغرض الإيقاع به.

5- 4- التعبيريات (Expressives): إن الغاية المتضمنة في القول للأفعال التعبيرية هي التعبير عن موقف نفسي يتوافر فيه، كالاعتذار، والشكر، والتحية... وفي هذا النوع من الأفعال يكون المحتوى القضوي مُسلماً به، لكن شرط الإخلاص يتغيّر بتغيّر النمط التعبيري؛ فالاعتذار - مثلاً - يكون صادقاً، إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلاً بشأن ما يعتذر عنه...⁵⁵.
وقد وردت الأفعال التعبيرية في المقامة البغدادية بنمطها: المباشر، وغير المباشر، وحققت قوى إنجازية متنوعة:

5-4-1- الأفعال التعبيرية المباشرة: وهي التي تتحقق فيها المطابقة بين المعنى القولي والمعنى الغرضي. وقد ورد منها ثلاثة في هذه المقامة:

- الاشتهاء: في قول الراوي: "اشْتَهَيْتُ الْأَزَادَ، وَأَنَا بِبَغْدَادَ". وقد عبّر عن هذا الفعل الإنجازي بأسلوب الإخبار: "اشْتَهَيْتُ الْأَزَادَ". أما القوة الإنجازية للفعل، فقد تمثلت في التعبير عن اشتهاه الطعام. وقد توفّر شرط الإخلاص؛ لأن الراوي كان صادقاً.

- الترحيب: في قول عيسى بن هشام: "حَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ". ويظهر الفعل الإنجازي في إلقاء التحية على السوادي، أماقوته الإنجازية، فهي الترحيب. ولم يتوفّر شرط الإخلاص في هذا الفعل؛ لأن ترحيب عيسى بن هشام بالسوادي لم يكن صادقاً، وإنما كان لغرض الإيقاع به.

- الدّعاء: في قول السّوادي: "أَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ". والفعل الإنجازي المتضمن في هذا القول هو: الرّجاء، أما القوة الإنجازية، فتتمثل في دعاء السوادي لوالده بالجنة. وشرط الإخلاص متوفّر في هذا الفعل.

5-4-2- الأفعال التعبيرية غير المباشرة: وهي التي يخالف فيها مراد المتكلم مقتضى الفعل، وتفهم دلالتها من مقام التخاطب. وقد وقفنا في المقامة البغدادية على خمسة منها:

- الفرح: في قول عيسى بن هشام: "ظَفَرْنَا وَاللَّهِ بِصَيْدٍ". ويظهر الفعل الإنجازي في التأكيد على الإيقاع بالسوادي، وضمنان الغداء على حسابه، أما القوة الإنجازية لهذا الفعل، فتتمثل في شدّة فرح عيسى بن هشام. وشرط الإخلاص متوفّر في هذا الفعل؛ فالراوي مقتنع بتناول الطعام على حساب السّوادي الساذج.

- الاعتذار: يظهر قول عيسى بن هشام: "لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ، وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ، أَنْسَانِيكَ طَوْلُ الْعَهْدِ، وَاتَّصَالَ الْبُعْدِ". ويتمثل الفعل الإنجازي في الدّعاء: "لَعَنَ... أَبْعَدَ..."، أما القوة الإنجازية، فهي الاعتذار عن نسيان اسم السوادي. ولم يتوفّر شرط الإخلاص في هذا الفعل؛ لأن الراوي غير صادق في اعتذاره.

- المواساة: في قول عيسى بن هشام: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ...". ونلاحظ الفعل الإنجازي في تقرير الحقائق، أما قوته الإنجازية، فتتمثل في المواساة. ويفتقر هذا الفعل إلى شرط الإخلاص؛ لأن عيسى بن هشام لم يكن صادقاً في مواساة السوادي في موت والده.

- الغضب: يتجلى في قول السّواء للسّوادي، بعد أن لكمه ولطمه: "وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟" والفعل الإنجازي المتضمن في هذا القول هو الاستفهام، أما قوته الإنجازية، فتتمثل في الغضب والإنكار. وشرط الإخلاص متوفّر في هذا الفعل؛ فالسّواء كان في قمة الغضب، منكراً على السّوادي استضافته.

- التحسر والندم: ويظهر في قول السوادي: "كَمْ قُلْتُ لِدَاكَ الْقُرَيْدُ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ". وقد عبّر عن هذا الفعل الإنجازي بأسلوب الإخبار: "كَمْ قُلْتُ لِدَاكَ الْقُرَيْدُ...". أما قوته الإنجازية، فهي: التحسر والندم. وشرط الإخلاص واضح؛ فالسوادي متحسر على دفعه ثمن الطعام، نادماً على وثوقه بعيسى بن هشام المحتال.

5-5- التصريحيات (الإعلانات (Declarations): يتميز هذا النوع من الأفعال الكلامية بأن أداؤها الناجح يحدث تغييراً في الواقع بإيجاد حالة لم تكن موجودة من قبل، زيادة على كونها تقتضي عرفاً غير لغوي (اجتماعي)، ولا يُشترط فيها الإخلاص⁵⁶. فقولك: "أنا مستقيل"، ينجّر عنه تركك وظيفتك. وقول الإمام الذي يشرف على إبرام عقد زواج شرعي: أعلنكما زوجين، يترتب عليه إقامة علاقة زوجية شرعية بين رجل وامرأة، تلك العلاقة التي لم تكن موجودة قبل.

وقد خلت "المقامة البغدادية" من هذا الصنف من الأفعال الكلامية؛ إذ لم نثر على أي فعل كلامي تصريحياً. ويمكن تأويل ذلك بأن "عيسى بن هشام" راوي هذه المقامة لم يأخذ على عاتقه تغيير الواقع الاجتماعي في عصره المتسم بالطبقية، وتفشي ظاهرة الاحتيال لكسب الرزق؛ فهو يتعامل معه كما هو، بل يدعو صراحة في آخر المقامة إلى اتخاذ الاحتيال وسيلة لكسب الرزق:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَةٍ *** لَا تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالَةٍ
وَأَنْهَضْ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ *** فَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا مَحَالَةَ

خاتمة: لقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على "الأفعال الكلامية" في المقامة البغدادية، والوقوف على أغراضها وقواها الإنجازية، والكشف عن الآثار المترتبة عليها. وفي ختامها يمكننا أن نسجل النتائج الآتية:

- دراسة الأفعال الكلامية وقواها الإنجازية آلية إجرائية فعالة في استنطاق الخطاب، وتجاوز دلالات البنى السطحية للملفوظات إلى الكشف عن دلالات بُناها العميقة المتضمنة فيها، بل والكشف عن الآثار المترتبة عليها.
- صعوبة تصنيف بعض الأفعال الكلامية، وبخاصة التوجيهيات والالتزاميات، فمثلاً: "هلم إلى البيت": يصلح هذا الملفوظ أن تكون فعلاً توجيهياً (أمر) غرضه الدعوة إلى الضيافة؟ ويصلح أن يكون التزاماً، على الرغم من أن المتكلم لم يكن صادقاً فيه.
- قد يتضمن الفعل الكلامي أكثر من غرض إنجازي، وقد يحقق أكثر من قوة إنجازية واحدة. ومثال ذلك: الاستفهام في خطاب الشّواء السوادي: "وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟" فهو يحقق قوتين إنجازيتين: التوبيخ (توجيهي)، والإنكار (تعبيري).

وقد مكّنتنا هذه الدراسة من حصر القوى الإنجازية للأفعال الكلامية في "المقامة البغدادية" التي كانت على النحو الآتي:

- الإخباريات: يزخر النص بالإخباريات، حيث وردت بشكلها: المباشرة، وغير المباشرة. وعلى الرغم من أن الغرض الإنجازي للإخباريات -عموما- هو الإخبار والوصف ... إلا أن كثيرا منها -في هذه المقامة- حقق قوى إنجازية، ومنها ما ترتب عليه أفعال تأثيرية. وقد تنوعت قواها الإنجازية بين: الإخبار، والوصف، والتأكيد، والتقريع، والاعتقاد، والتظاهر، والتمثين. - التوجيهيات: تنوّعت الأفعال التوجيهية في هذه المقامة، وتمثلت في: الأمر، والاستفهام، والنداء، والنهي. وقد هيمنت عليها الأفعال التوجيهية غير المباشرة التي وُظِّفت لأداء أغراض إنجازية مختلفة، محققة قوى إنجازية متنوعة، نجمت عنها أفعال تأثيرية متباينة حسب السياق الذي وردت فيه. ونلخص قواها الإنجازية في الآتي:

- الأمر: ————— الطلب، والتقريع، والنصح والتوجيه.

- الاستفهام: ————— الإيهام، والإلزام، والتوبيخ.

- النداء: ————— الاستمالة، والتقريع.

- النهي: ————— الرجاء، والنصح.

- الالتزاميات: ورد منها في هذه المقامة اثنان غير مباشرين (الأمر بصيغة اسم الفعل "هَلَمْ")، وواحد مباشر بصيغة الإخبار، وظف فيه الفعل المضارع الدال على المستقبل: "نَأْتِيكَ بِسَقَاءٍ". وتمثلت قوّتها الإنجازية في "الوعد" بالضيافة، والإتيان بالماء البارد. وقد نكت راوي المقامة كلّ وعوده، ولم يفِ بأيّ منها.

كما سجّلنا تمييز بعض الدارسين بين الالتزاميات والتوجيهيات، بكون المتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، أما في التوجيهيات، فهو يحاول التأثير فيه. وهو حكم ليس مسلما به؛ فمن خلال دراستنا للالتزاميات في "المقامة البغدادية" نلاحظ أن الراوي "عيسى بن هشام" كان يُقدّم للسّوّادي وعودا كاذبة؛ لغرض التأثير فيه.

التعبيريات: وردت الأفعال التعبيرية في مدوّنة هذه الدراسة بنمطها: المباشر، وغير المباشر. وحققت قوى إنجازية متنوعة: الاشتماء، والترحيب، والدّعاء، والفرح، والاعتذار، والمواساة، والغضب، والتحسر والندم. وقد توفر شرط الإخلاص في بعضها، ولم يتوفّر في بعضها الآخر.

أما التصريحيات، فقد سجّلنا خُلُو "المقامة البغدادية" منها، وأولنا ذلك الغياب بأن راوي هذه المقامة لم يأخذ على عاتقه تغيير الواقع الاجتماعي في عصره المتسم بالطبقية، وتفشي ظاهرة الاحتيال لكسب الرّزق؛ فهو يتعامل معه كما هو.

- قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.
- 2- أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة دار المعارف، بيروت، ط2، 2013.
- 3- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2003.
- 4- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2006.
- 5- بدر بن علي العبد القادر، القوة الإنجازية للأفعال الكلامية (دراسة تداولية تطبيقية)، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، مج: 18، ع: 01، جوان 2021.
- 6- بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، تقديم وشرح محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005.
- 7- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: صلاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2011.
- 8- جون لونغشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، تر: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2008.
- 9- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001.
- 10- علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط1، 1996.
- 11- علي محمود حيي الصراف، في البراغماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.
- 12- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2013.
- 13- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2000، ج4.
- 14- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1987.
- 15- فريدة بن فضة، الاستفهام عند السكاكي (دراسة تداولية)، مجلة الممارسة اللغوية، مخبر

- الممارسة اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، مج: 06، ع: 02، 2015.
- 16- محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه، إشراف: جودي مرداسي، جامعة باتنة، الجزائر، 2014/2013.
- 17- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د ط، 2002.
- 18- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005.
- 19- نعمان بوقرة، المدراس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 2004.
- 20- يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979.

الإحالات والهوامش:

- ¹ - جون لونقشيو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، تر: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2008، ص17.
- ² - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص10.
- ³ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: صلاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2011، ص172.
- ⁴ - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1987، ص61.
- ⁵ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د ط، 2002، ص45.
- ⁶ - علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص11.
- ⁷ - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2013، ص296.
- ⁸ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص41.
- ⁹ - نعمان بوقرة، المدراس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 2004، ص189.
- ¹⁰ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص49.
- ¹¹ - فريدة بن فضة، الاستفهام عند السكاكي (دراسة تداولية)، مجلة الممارسة اللغوية، مخبر الممارسة اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، مج: 06، ع: 02، 2015، ص117.
- ¹² - محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه، إشراف: جودي مرداسي، جامعة باتنة، الجزائر، 2014/2013، ص323.

- ¹³- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 112 وما بعدها، وعز الدين صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 132 وما بعدها، ومحمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، ص 53 وما بعدها.
- ¹⁴- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 123 وما بعدها، ومسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 41 وما بعدها.
- ¹⁵- علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط 1، 1996، ص 51.
- ¹⁶- ينظر: المرجع نفسه، ص 43.
- ¹⁷- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 186 وما بعدها، وينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 69-70.
- ¹⁸- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 70-71.
- ¹⁹- المرجع نفسه، ص 71.
- ²⁰- المرجع نفسه، ص 47.
- ²¹- سيرل، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، ص 172.
- ²²- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 45.
- ²³- سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 172.
- ²⁴- ينظر: المصدر نفسه، ص 185، وفرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 71، ومحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50-51.
- ²⁵- بدر بن علي العبد القادر، القوة الإنجازية للأفعال الكلامية (دراسة تداولية تطبيقية)، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، مج: 18، ع: 01، جوان 2021، ص 64.
- ²⁶- سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 173-174، وينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2003، ص 33.
- ²⁷- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 47، وعلي محمود حجي الصراف، في البراجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي)، ص 51.
- ²⁸- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 267، وفرانسواز أرمينكو، المقاربة التاولية، ص 63.
- ²⁹- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 63، وعز الدين صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 44.
- ³⁰- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 267.
- ³¹- المرجع نفسه، ص 268.
- ³²- ينظر: سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 181-182.

- ³³- ينظر: المصدر نفسه، ص 183-184، ومحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 78-80.
- ³⁴- ينظر نص المقامة البغدادية في: مقامات بديع الزمان الهمداني، تقديم وشرح محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2005، ص 71.
- ³⁵- يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط 1، 1979، ص 8.
- ³⁶- المرجع نفسه، ص 90.
- ³⁷- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 103، وبدر بن علي العبد القادر، القوة الإنجازية للأفعال الكلامية (دراسة تداولية تطبيقية)، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، مج: 18، ع: 01، جوان 2021، ص 63.
- ³⁸- سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 183.
- ³⁹- ينظر: علي محمود حيي الصراف، في البراغمية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 57.
- ⁴⁰- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 183.
- ⁴¹- المصدر نفسه، ص 183.
- ⁴²- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5، 2001، ص 14.
- ⁴³- ينظر: ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة دار المعارف، بيروت، ط 2، 2013، ص 138-139، والسكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987، ص 319، وعبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ص 15.
- ⁴⁴- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية، ص 18.
- ⁴⁵- يُنظر: المرجع نفسه، ص 20-21، وفاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 1، 2000، ج 4، ص 232 وما بعدها.
- ⁴⁶- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدميّاطي، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2006، ص 513-514.
- ⁴⁷- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية، ص 15.
- ⁴⁸- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 320.
- ⁴⁹- ينظر: المصدر نفسه، ص 320، وعبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية، ص 15-16.
- ⁵⁰- سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 183.
- ⁵¹- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 78.
- ⁵²- محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة)، ص 288.
- ⁵³- سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 184.
- ⁵⁴- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 79.
- ⁵⁵- ينظر: سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 184، ومحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 80.

⁵⁶ - ينظر: سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص185، ومحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80.